

الإسلام وحاجة البشرية إليه

الدكتور رفعت فوزى عبدالمطلب

انه من اليسير - كما يقول بعض الباحثين - اثبات وجود الله بالأدلة النفسية من خلال شعور الانسان بوجود اله خالق عظيم ، وأكثر الذين ينكرون هذه الحقيقة يشعرون فى أعماقهم بخوف لا يعرفون مصدره ، سيما اذا نكبوا أو حلت بهم كارثة ، وربما أحسوا باطنيا بأنها عقاب لهم على انكارهم لوجود الخالق. (١)

فالانسان يولد وفى فطرته الايمان بوجود قوة خفية تسيطر عليه وعلى الحياة من حوله ، وهو يفرغ اليها عند الحاجة ويطمئن الى أنها موجودة فى حياته . وهذا ما عناه القرآن الكريم فى قوله عز وجل : (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) (٢) وعنائه الرسول الكريم بقوله : (كل انسان يولد على الفطرة) (٣) أى على الايمان الحق بوجود الله الخالق المدبر .

وتاريخ البشرية بكل مراحلها دليل على نزوع النفس الانسانية نحو الاله تعترف بوجوده ، كما تقر برجوعها وحاجتها إليه سواء أكان هذا الاله حقا أم غير حق .

-
- (١) سيكولوجية القصة فى القرآن الكريم د. التهامى نقره - السدار التونسية للنشر والتوزيع ص ٢٥٥ .
 (٢) سورة الأعراف آية (١٧٢) .
 (٣) متفق عليه رواه البخارى ومسلم .

وقد جاءت الاديان على أيدي رسل الله الكرام لتوضح هذا
الايمان وتصححه ، فترشد الناس الى الههم الواحد الأحد ، الذى
يستحق أن يعبد وجدير بأن يلجأ اليه .

ان الايمان بالله عز وجل حقيقة أتت بها الأديان السماوية
جميعها ، وساق لها القرآن الكريم أدلة كثيرة ، ويمكن للعقل
البشرى أن يهتدى اليها ، اذا تفكر فى ملكوت السموات والارض
وما بينهما ، من خلقها جميعا ؟ من أوجد فيها النظام والدقة
ووضع لها القوانين الطبيعية الدقيقة المحكمة ؟ من الذى
يسيطر على حركة الشمس والقمر ، والكواكب والنجوم ؟ .. من
الذى أعطى الطير قدرة على الطيران فى الهواء ، وأعطى السمك
قدرة على العيش فى الماء ، من ذا الذى ينبت الزرع ، ويخرج
الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ؟ من ذا الذى يجعل
عيوننا تبصر ، وآذاننا تسمع وقلوبنا تعقل ، وجعل فى جسم كل
انسان أجهزة دقيقة دموية وهضمية وتنفسية ولمفاوية وتناسلية
وعصبية ؟ .. الخ .

فكل جزء من هذا الكون ، وكل حركة فيه ، وكل سكون يشهد
بوجود اله يسيطر عليه ويدبره بحكمة وعلم (ان الله يمسك
السموات والارض أن تزولا ، ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من
بعده ، انه كان حليما غفورا) (١)

وهذا ما جعل كثيرا من العلماء - من غير رجال الدين -
يعترفون بوجود اله خالق للكون والحياة ، وذلك حينما فتحوا

بصائرهم وعقولهم ، فاستنارت بنور العلم وقادهم علمهم الى
الايمان بوجود الله عز وجل الخالق المدبر :

يقول أحدهم ..

" ان النظام العام المسيطر على الطبيعة ، وآثار الحكمة
المشاهدة فى تكوين كل شئ والحكمة البالغة المنتشرة كضياء
الفجر كل هذا يدل على أن القدرة الالهية المطلقة هي الحافظة
للكون ، وهي المصدر الاصيل لنظامه وكافة قوانينه " (١)

يقول بعضهم ..

" وهكذا أثبتت البحوث العلمية - دون قصد - أن لهذا
الكون بداية فأثبتت تلقائيا وجود الاله ، لأن كل شئ ذى
بداية لا يمكن أن يبتدىء بذاته ، ولا بد أن يحتاج الى المحرك
الأول - الخالق الاله ."

ويقول آخر ..

" لو كان يمكن للكون أن يخلق نفسه فان معنى ذلك أنه
يتمتع بأوصاف الخالق ، وفى هذه الحال سنضطر الى أن نؤمن
بأن الكون هو الاله . وهكذا ننتهى الى التسليم بوجود الاله .
ولكن الهنا هذا سوف يكون عجيبا ، الها غيبيا وماديا فى آن
واحد ، اننى أفضل أن أؤمن بذلك الاله الذى خلق العالم المادى
وهو ليس بجزء من هذا الكون ، بل هو حاكمه ومدبره بدلا من أن

(١) الدين والعلم : أحمد عزت ترجمة د. عبدالوهاب عزام وأحمدى طاهر

أتبنى مثل هذه الخزعبلات " (١)

وإذا كانت حياة الانسان غير موجودة بالصدفة ، وأنما وراءها المدبر الحكيم - فانه ما ينبغي لها أن تسير كذلك بالصدفة ، وانما يجب أن تسير على منهج يهديها الى خير الطرق وأصلح السبل ، ذلك الذى يحقق لها الخير والسعادة ويجنبها العثرات والمزالق ، ولن يرسم لها ذلك المنهج الحكيم الا صانعها العليم بما يصلح الانسان وما يفسده ، وهو الله سبحانه وتعالى .

وما أشبه حياة الانسان فى هذا الكون بسفينة فى وسط محيط ، انها تحتاج الى ربان ماهر عليم بطبيعة السفينة وطبيعة البحر ، والطرق التى تؤدى الى بر الامان .

والله تعالى هو القادر على قيادة هذه السفينة ، لانه هو الذى صنعها ، وهو الخبير بالكون الذى تسير فى خضمه وتشق عبابه : لانه أيضا هو الذى صنعه .

لا فصل بين الدين والحياة :

ومن العجيب أنه قد قام من بين المؤمنين من يريدون فصل الدين عن الحياة ، ويريدون اقضاء يد الله عن شئون المجتمع والدولة والأسر التى ينضون تحتها .

(١) عن الاسلام يتحدى ص ٧٤ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ترجمه ظفر الاسلام خان - الطبعة السابعة ، عن وحيد الدين خان .

من العجيب حقا ، لأنهم كمؤمنين يعتقدون بأن الله تعالى يقوم بكل شيء فى الكون من أجلهم ، ومن أجل حياتهم ألا يقوم أيضا بشأن ماينظم حياتهم وهو العليم بأسرارها ، ومايصلحها وما يفسدها ؟

فكما أن المؤمن يعتقد أن لا اله الا الله ، وأن لا معبود الا الله ، وألا رازق الا الله وألا نافع أو ضار الا الله ، وألا متصرف فى شأنه - وفى شأن الكون كله الا الله ، كذلك يجب أن يعتقد ألا حاكم الا الله ، وألا مشرع الا الله ، وألا منظم الا الله حياة البشر وارتباطهم بالكون وبالأحياء ، وببنى الانسان من جنسه ، فيتلقى من الله وحده التوجيه والتشريع ، ومنهج الحياة ونظام المعيشة .

قد يقول هؤلاء : ان الله قد وهب لنا عقولا ننظم بها شؤون حياتنا ومجتمعاتنا ، وينبغى أن نستخدم هذه العقول فى تنظيم حياتنا ووضع قوانين لها ، ونقول : ان الله لم يبلغ هذه العقول ، قد رسم لنا الأصول وترك لنا التفصيلات التى تستطيع عقولنا حقا أن تهتدى الى الصواب منها أما مالا تقدر عقولنا عليه من التشريع العام الذى تنبنى حاجات الناس وما يصلح شؤونهم عليه فانه لا يستطيع أن يقوم به الا العليم الخبير - صانع البشر وخالقهم .

وما أشبه التشريع بالأرزاق التى تقوم عليها حياة الناس
ان قسما منها لا يستطيع الناس أن يقوموا به وتكفل به الله سبحانه وتعالى ، كإنزال المطر واستفادة الأرض منه والقيام بانبات الزرع ، وتهيئة السمك فى الماء ، وملاءمة النباتات لغذاء الحيوان . وعلى الانسان بما زوده الله من عقل أن يقوم

بالباقى ، ان عليه أن يكد ويسعى فى رعى الحب فى الأرض وتهيئته بالسقيا والرعاية ، وهو ينمو وينبت باذن ربه ، وعليه اذا أراد أن يستفيد من رزق البحر أن يكد ويصطاد السمك،وعليه ان يجلب الغذاء للحيوان ويتعهدده اذا أراد أن يستفيد من لحومه وألبانه ، أو ركوبه .. الى آخر المطاف .

ولقد عانت المجتمعات المعاصرة الكثير من الفوضى والشقاء ، لأنها فصلت بين الدين والمجتمع ، وابتليت بمن أحلوا أنفسهم محل الله فى وضع التشريعات والقوانين والنظم التى تسير عليها المجتمعات ، وكلما قام أحد منهم فى مجال من مجالات الحياة بوضع نظرية جاء الاخر فهدمها ، وبين مافيه من عيوب واختلفوا فى النظريات والقوانين الانسانية ، ولاعجب فى ذلك ولا غرابة ، لأن الأصول التى تنظم حياة البشر ينبغى كى تنجح فى التطبيق وتتعامل مع الانسان - ان يضعها العليم الخبير بشئونهم وميولهم وحاجاتهم ، وهذا لا يوجد الا من صانع الانسان ، وهو الله سبحانه وتعالى .

ولهذا نجد أنه حتى اذا صادف الحظ نظرية ما ، وأخذت بها دولة مافإنها تعاني ، معاناة شاقه فى تطبيقها وربما استلزم الواقع تغيرات جوهرية فيها ، وهذا ما نشاهده فى النظرية الماركسية ، لقد أخذت بها دول عدة ، ولكننا وجدنا أن كل دولة وجدت ان النتائج المرجوة من تطبيقها لم تتحقق فعدلت فى النظرية ، وبالتالي فى التطبيق ، ووجدنا روسيا مثلاً - تقول بمبدأ الحافز الفردى ، وما يمكن أن يسمى بالقطاع الخاص وذلك لأنهم وجدوا أن العامل أو الفلاح لاينتج حقاً الا اذا كان هناك دافع نفسى يلبي حاجته الى التفوق والتملك وأن يحتاج له

أن يجنى ما يعمل اذا جد فى هذا العمل ، وكذ ، وهذا خروج
أساسى على النظرية الماركسية ولا يمكن به أن يتطور المجتمع
الاشتراكى الى المجتمع الشيوعى كما تتنبأ الماركسية .

على أننا اذا نظرنا فى التطبيقات الشيوعية بين دولة
وأخرى فاننا نجد الاختلاف الواضح فيما بينها ، كما يتمثل ذلك
فى الصين وروسيا ، بحيث انه يمكننا أن نقول : ان النظرية
الشيوعية فى الأولى انما وضعها ماوتسى تونج^(١) وطبقها لاماركس
هو الذى وضعها . وربما كان هذا هو ما أشار عداة بين الدولتين
وهذا يرجع الى حد كبير الى اختلاف الشعوب التى تطبق فيها
واختلاف البشر الذين يأخذون بها .

أما النظرية الدينية التى جاءت من عند الله فان أصولها
لا تختلف ولا يصطدم تطبيقها فى الواقع مع أصولها بأى حال ، والا
لم تكن دينية ، وهى اذا طبقت تطبيقا أميناً آتت ثمارها التى
بشرت بها فى أصولها ، أى فى كتبها ، وفى تعاليم رسلها ، دون
أن يكون فيها ما يتعارض مع ميول البشر وحاجاتهم ، لأن الذى
وضعها هو صانعهم - عز وجل - .

ولهذا حرصت جميع التعاليم السماوية على أن تأتى بفهم الله
تعالى ومبادئ الحياة والقوانين التى تنظم حياة الأفراد
والمجتمعات .

وهذه المبادئ والقوانين انما هى الزاد الذى يتزود

(١) وبدأت الصين الآن فى نبذ تعاليم " ماوتسى تونج " والسير
فى طريق آخر .

به الانسانى يكون خليفة فى الأرض ، يعمرها ويصلحها ويرقى بها " واذا قال ربك للملائكة : انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويفسك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال : انى أعلم ما لا تعلمون .. وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم .. قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم انى أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون^(١)

وجميع التعاليم الدينية سواء أكانت فى العقائد ، أم فى العبادات ، أم فى المعاملات ، أم فى الأخلاق ، أم فى أى جانب من جوانب الحياة انما تهدف الى بناء الفرد السوى والى بناء المجتمع السليم . وذلك كله مبنى على أساس هام وهو الايمان بالله الذى يعلم ما يصلح خلقه ويهديهم ، ويقدر وحده - بحكمته - أن يرسم لهم الطريق المستقيم ، كما هو القادر وحده على امدادهم بكل أسباب الرزق والحياة . وعلى هذا فليس الايمان منفصلا عن الحياة وانما هو مسدد لها .

ارسال الرسل :

واذا كانت هذه التعاليم تصدر من الله سبحانه وتعالى الى عباده المؤمنين فانه لابد من الوسائل السديدة والصحيحة التى توصل هذه التعاليم الى الناس نقية كما صدرت من الخالق

سبحانه وتعالى ، ويتمثل هذا فى اختيار بعض الأفراد من خلقه ، فيوحى اليهم بهذه التعاليم . ويكلفهم بأن يبلغوها للناس : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)^(١) ، وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ، ليبين لهم (٢) .

وقد كانت الرسائل فى العصور القديمة مقصورة على أزمنة معينة وأمكنة محدودة ، ربما لانه لم تكن هناك وسائل الاتصال التى تتيح للرسول أن يبعث تعاليمه فى قومه ، وفى غير قومه ، كما لم تكن هناك وسائل التدوين والتوثيق التى توفر للتعاليم الدينية أن تحفظ نقية دون تحريف ، وأن تنقل عبر الأجيال بعد وفاة الرسول . ومن هنا كثر الرسل فى أمكنة متعددة وأزمنة مختلفة على الرغم من أن الدين واحد ، لأنه جاء من عند الله تبارك وتعالى الى الناس ، والناس لا يختلفون فى الحاجة الى التعاليم الدينية من عصر الى عصر . وما أن تنتهى حياة رسول من رسل الله تعالى هؤلاء حتى تبدأ تعاليمه الدينية فى الاندثار والتحريف .

والأمر قد اختلف عند ظهور الاسلام ، فقد بدأ العالم يتصل بعضه ببعض أكثر من ذى قبل ، وانتشرت وسائل الكتابة والتوثيق فى الجزيرة العربية ، وفى غيرها .

اذن فقد كان من الممكن فى هذه الحال - والله أعلم حيث يجعل رسالته - أن يرسل الله الرسول الذى يأتى بالتعاليم الدينية الى الناس فى عصره ، وفيما بعد عصره حتى قيام الساعة التى دنا موعدها .

وكانت هذه الرسالة هي رسالة الاسلام (١) آخر الأديان السماوية وخاتمها ، وقد اختار الله له محمدا صلى الله عليه وسلم الذى عرف فى قومه بالأمانة والصدق والصفات الحميدة ، كى يوحى اليه بالتحاليم الدينية ويكلفه بتبليغها الى الناس كافة ، فى عصره وما تلاه من العصور حتى يرث الله الأرض ومن عليها (ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبیین ، وكان الله بكل شئ عليم (٢)) وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا (٣) .

وقد تمثلت التحاليم التى أتى بها الرسول صلى الله عليه وسلم فى مصدرين أساسيين : (٤)

المصدر الأول :

القرآن الكريم ، ذلك الكتاب الذى أنزله الله تعالى لأمرين عظيمين :

أحدهما .. أن يكون معجزة دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم .. يقول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : " ما من الأنبياء نبي الا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذى أوتيت وحيا أوحاه

(١) يطلق الاسلام فى اللغة العربية على الخضوع والانقياد لله تعالى ، ومن هذا المعنى قوله تعالى ، (وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون) " آل عمران ٨٣) ثم اشتهر الدين الذى بلغه محمد صلى الله عليه وسلم باسم الاسلام . ومن هذا المعنى قوله تبارك وتعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام ديناً) . " المائدة ٣ " .

- (٢) سورة الاحزاب (٤٠) . (٣) سورة سبأ (٢٨) .
(٤) الاسلام عقيدة وشريعة محمود شلتوت ط ٩ ص ٤٧٧-٤٧٩ .

الله الخ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة" (١)

وكل رسول لابد أن يأتى ببرهان من عند الله تعالى يثبت به أنه أرسل من عنده عز وجل حتى يطمئن الناس أنهم يتلقون التعاليم من الله حقا وصدقا ، ولايستطيع أحد أن يأتى بهذا البرهان الذى فى يد الرسول . . وبمقتضى هذا أنزل سبحانه وتعالى القرآن الكريم يحمل فى أسلوبه ومعانيه وتشريعه ومعارفه عناصر الاعجاز ، وقد أمر رسوله أن يتحدى به المعارضين ، فتحداهم حتى ظهر عجزهم ، وظهر واضحا أنه ليس من عند الانسار ، وانما هو من عند الله العليم الخبير : (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) (٢) (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (٣) .

ولايزال تحدى القرآن الكريم قائما ومستمرا على مر القرون والعصور والأجيال ، بما يحمل من وجوه الاعجاز التى لا يستطيعها البشر ، وهذا يثبت دون شك أنه كلام الله ، وأى انسان يتمتع بكفاءة التفكير الحر السليم يكفيه ذلك ليؤمن به : (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق ، فبأى حديث بعد الله ، وآياته يؤمنون) (٤) .

(١) رواه البخارى فى فضائل القرآن ، وكتاب الاعتصام . ورواه مسلم فى كتاب الايمان وأحمد بن حنبل فى مسنده ج ٢ صفحة

٣٤١ ، ٤٥١ .

(٣) سورة هود (١٣) .

(٢) سورة البقرة (٢٣) .

(٤) سورة الجاثية (٦) .

ومما يؤكد أن هذا الكتاب من عند الله أنه ———
بتنبؤات أثبت الزمن صحتها على حين أن عددا كبيرا من أذكىاء
الناس تنبئوا وكذبت تنبؤاتهم فى النهاية .^(١)

ومما يؤكد أيضا أن القرآن من عند الله ، أنه على الرغم
من نزوله قبل قرون كثيرة من عصر العلوم الحديثة ، لم يتمكن
أحد من اثبات أية أخطاء علمية فيه ، ولو أنه كان من كلام
البشر ، محمد أو غيره لوجدت فيه أخطاء الانسان (ولو كان
من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)^(٢)

ثانيهما : وثانى الأمرين اللذين أنزل القرآن لهما ، أن
يكون منبع هداية وارشاد ، ومصدر تشريع ، وأحكام يجب
اتباعه والرجوع اليه : (اتبعوا ما أنزل اليكم من
ربكم ، ولا تتبعوا من دونه أولياء)^(٣) ، (انا أنزلنا
اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله)^(٤)
(تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله
فأولئك هم الظالمون)^(٥) (فاحكم بينهم بما أنزل الله
ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق)^(٦) ، (وان احكم
بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن
يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ، فان تولوا فاعلم
أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وان كثيرا
من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن
من الله حكما لقوم يوقنون)^(٧) .

(١) انظر الاسلام يتحدى لوحيد الدين خان . ترجمة ظفر الاسلام خان ص

١٧٥ - ١٩١ الطبعة السابعة .

(٢) سورة النساء (٨٢) .

(٣) سورة الأعراف (٣) .

(٤) سورة النساء (١٠٥) .

(٥) سورة البقرة (٢٢٩) .

(٦) سورة المائدة (٤٨) .

(٧) سورة المائدة (٤٩-٥٠) .

والقرآن الكريم وثيقة صادقة ، فقد نقلها الآلاف والملايين من المسلمين جيلا بعد جيل ، منذ عصر الصحابة الى اليوم حفظا فى الصدور وكتابة فى المصاحف ، وبلغ من حرص المسلمين على ألا يغير شيء فى هذا الكتاب الكريم أن حافظوا على الخط الذى كتب به فى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه ، على الرغم من تطور الخطوط العربية وتنوعها على اختلاف العصور ، وصدق الله العظيم حيث يقول : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)^(١)

ويشتمل القرآن على :

أولا : العقائد التى يجب الايمان بها ، فى الله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وهى الحد الفاصل بين الايمان والكفر .

ثانيا : الارشاد الى النظر والتدبر فى ملكوت السموات والأرض ،

وما خلق الله من شيء ، لتعرف أسرار الله فى الكون فتزداد القلوب ايمانا به سبحانه وتعالى ويعظمته عن دليل ، لاعتن تقليد ومجارية ، وقد عاب القرآن على الذين يقلدون الآباء والأجداد فى عقائدهم ودينيهم وعاداتهم السيئة ، كما أنه فتح الباب للبحث عن خواص الأجسام فى الأرض والسماء فينتفعون بها فى حياتهم ويستفيدون منها فى الانشاء والتعمير .. وقد أهملت الأمة الاسلامية فى العصور المتأخرة هذا الجانب ، ولم ينتفعوا بايحاء القرآن فيه .

ثالثا : العبادات والاحكام الشرعية التى وضعتها ، أو وضع أصولها ، وكلفنا باتباعها فى تنظيم علاقتنا بالله ، وعلاقتنا بعضنا ببعض ، مما ينظم حياة المجتمع فى جميع مجالاته اجتماعيا وسياسا واقتصاديا ، ومن أجل هذا حث على العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج ، وجاءت أحكام الزواج والطلاق وما يتبعها من مهر ونفقة وحضانة ورضاع وعدة ووصية وارث .

وجاءت أحكام المعاملات المالية كالبيع والاجارة والرهن والمدائنة والتجارة، وجاءت أحكام حماية النفس والاعراض كعقوبة القتل والسرقة والزنا والقذف ومحاربة الله فى الارض .

كما جاءت أحكام السلم والحرب وما يجب على الحكام من الشورى والعدل والمساواة وسائر ما يجب عليهم للناس ، أو ما يجب على الناس لهم .^(١)

رابعا : الاخلاق الفاضلة التى تهذب النفوس وتصلح من شأن الفرد والجماعة وتحذو من الاخلاق السيئة التى تذهب المعانى الانسانية الفاضلة وتسبب الشقاء فى الحياة .

خامسا : قصص السابقين أفرادا وأمما ، وقد أورد القرآن الكثير من ذلك حتى يعتبر المؤمنون ويتعظوا ، والقرآن فى هذا المجال يرشد الى قوانين الله فى معاملة خلقه ، الصالحين منهم والمفسدين .

سادسا : الانذار والتخويف ، أو الوعد والوعيد :

وللقرآن فى ذلك طريقان :

أحدهما : بيان أن فى اتباع طريق الله التقدم والتمكين
فى الأرض ، وفى التخلّى عنه الشقاء وشيوع الظلم (وعد
الله الذين آمنوا منكم وعلموا الصالحات ليستخلفنهم
فى الأرض)^(١) .. (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة
مطمئنة يأتيتها رزقها رغدا من كل مكان ، فكفرت بأنعم
الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا
يصنعون)^(٢)

ثانيهما : الترغيب فى نعيم الآخرة ، أو الترهيب من عذابها :

(و من يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها
الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله
ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين)^(٣) وأمثال
هذا كثير من القرآن الكريم .

ويلاحظ أن كل ما جاء به القرآن من العقيدة أو العبادة
أو فى تنظيم حياة الناس والمجتمع ، إنما هو مبنى على أساس
هام جدا وهو مراعاة العقل الإنسانى والارادة الإنسانية اللذين
ميز الله بهما الإنسان على سائر المخلوقات .

ولهذا لا بد من اقناعه بتلك التعاليم ، وعدم اكراهه
عليها ، وتشريع ما يتوافق مع الطباع النقية السليمة ، لا ما
يتصادم معها حتى لا يكون هناك فرق بين النظرية والتطبيق حيث
لا ينجح التطبيق الا فى نظام يراعى حاجات الناس وفطرتهم وطبائعهم .

(٢) سورة النحل (١١٢) .

(١) سورة النور (٥٥) .

(٣) سورة النساء (١٣ ، ١٤) .

ويؤكد القرآن الكريم على هذا الأمر : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) ^(١) (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هي أحسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) ^(٢) . (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) ^(٣) . (فذكرّ انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) ^(٤) .

بيان الرسول للقرآن :

ولم يكن للقرآن أن يأتى بكل شىء مما ينظم حياة الأفراد والمجتمعات ويوجههم الى الطريق السديد ، لأنه كتاب هداية وارشاد ، وينبغى أن يكون موجزا يستطيع الناس قراءته وحفظه والاحاطة بكل ما فيه وتدبره ، ولن يتحقق هذا اذا اشتمل على كل تفصيلات العبادات والتشريعات ، ولذلك اكتفى القرآن بالأصول فى ذلك وترك للرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - أن يبين هذه الأصول . كما ترك للمؤمنين أن يجتهدوا فيما يجد فى حياتهم ، مما يقتضيه تفاوت الأزمان والبيئات ، ولكن بشرط أن يستظلوا بلواء القرآن الكريم فى كل ما يصدر عنهم وبتعاليم الرسول الكريم (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما أنزل اليهم ولعلمهم يتفكرون) ^(٥) .

المصدر الثانى وهو السنة :

ومن هنا يأتى دور السنة ، وهى ما قاله الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، أو فعله ، أو رضى عنه ، انها تأتى

- | | |
|-------------------------|------------------------------|
| (١) سورة النحل (١٢٥) . | (٢) سورة فصلت (٣٤) . |
| (٣) سورة البقرة (٢٥٦) . | (٤) سورة الفاشية (٢١ ، ٢٢) . |
| (٥) سورة النحل (٤٤) . | |

بعد القرآن الكريم ، فى المكانة ، وفى التشريع .

ومحمد صلى الله عليه وسلم أدبه ربه فأحسن تأديبه ،
ووصفه بأنه على خلق عظيم . وعصمه من الخطأ فى أمور التشريع
الدينى ككل رسول من الرسل : (وما ينطق عن الهوى ان هو الا
وحى يوحى) (١) اذن فمن الحق أن نعتد على كل ما يصدر عنه
من بيان للقرآن الكريم أو تفصيل لأمور التشريع .

ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم مثال الانسان الكامل
فى أخلاقه والمستقيم فى سلوكه ، لأنه التزم بتطبيق كتاب الله
تطبيقا أميناً ودقيقاً ، ولهذا كان خلقه القرآن كما وصفته
أقرب الناس الى حياته ، السيدة عائشة رضى الله عنها أم
المؤمنين .

وبفضل محمد - صلى الله عليه وسلم - وسنته وتبليغه الوحي
تحول قومه عندما اتبعوه من عبادة الأصنام الى عبادة الله عز
وجل ، وبفضله قامت دولة استطاعت أن تنشر عقيدة التوحيد
فى دولة الفرس الوثنية ، وأن تطبق العدل فى دولة الروم
الظالمة ، وبفضل محمد ، صلى الله عليه وسلم آمن الملايين من
البشر بالله عز وجل ، وعبدوه الها واحداً ، لا شريك له ،
وبفضل محمد ، صلى الله عليه وسلم كانت للعرب حضارة هى أساس
الحضارة الأوروبية الحديثة ، ولم يطلب محمد صلى الله عليه
وسلم من أحد شيئاً سوى أن يؤمن بالله عز وجل ، ويعمل صالحاً :
(قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد ،
فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ، ولا يشرك بعبادة
ربه أحداً) (٢)

وعلى الرغم من أنه كان أميا فقد أوحى اليه بعلم غزير من قرآن وسنة يستقيم بهما حال البشر ، قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم : (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما) (١)

ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم ، حريصا على هداية الناس أجمعين ، داعيا لهم الى الايمان بأن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، حتى يفوزوا بنعيم الآخرة وهو بالتالى يحب الخير للناس جميعا : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم . فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) (٢)

توثيق السنة :

وقد نقلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم نقلا دقيقا وأمينا ، فقد حفظها الصحابة رضوان الله عليهم ودونوها فى صحائف عندهم . وجاء القرن الثانى فأودعت كلها فى المصنفات ووضعت القواعد العلمية الدقيقة التى تميز الأحاديث المكذوبة على الرسول، وتبعدها عن الكتب الصحيحة وقد بذل العلماء أقصى جهدهم فى ذلك ، وقدموا ما لم تقدمه أمة من الأمم لتوثيق أحاديث رسلهم وزعمائهم .

والى جانب ما تقدمه السنة النظرية من جوانب عديدة ، من التشريع والأحكام والأخلاق فان السنة العملية كانت التطبيق الأمين لنظريات القرآن وأصوله . ولذلك فانه من السهولة بمكان على الأمة الاسلامية أن تتبع خطى محمد وأصحابه فى تطبيقه

(١) سورة النساء (١١٣) . (٢) سورة التوبة (١٢٨ ، ١٢٩) .

لنظريات الاسلام وتعاليمه . ولا ترمى فى أحضان نظريات وضعها بعض من يدعون العلم فيجربون، وهيئات أن تنجح تجاربهم كما شوهد ذلك فى الشرق والغرب وأورثت هذه التجارب الشقاء والفشل والخيبة .

وللأمة الاسلامية أيضا أن تأخذ بسنة محمد (ص) فتجتمع على قلب رجل واحد، وتقتدى بمن سددت العناية والقدرة الالهية العلمية الخبيرة خطاه ، رجل طبق نظرية واحدة هى النظرية الاسلامية ، وعلى هذا فلا تتبدد طاقتها فى ميول بعضها رأسمالية وبعضها شيوعية ، وغيرها الى نهاية القاطعة التى تفدعليها وتلهث وراءها كأنها وجدت الفردوس الموعود وهيئات فلــــن تجد الا السراب والضلal .

وللأمة الاسلامية اذا أرادت أن تثوب الى رشدنا أن توحد عاداتنا وتقاليدها طبقا لعادات الدين حين تقتدى بمحمد متمثلا ذلك فى سنته ولا تجرى وراء الموضات والعادات الأجنبية الدخيلة عليها ، والتى تورث التناقض بين سلوكها وبين تعاليم دينها ولا تتلاءم مع بيئاتها ، وفى هذا من التمزق والقلق مافيه ، مما يضى على المجتمع التفكك ويذهب بأصالته .

الاجتهاد :

وبعد القرآن والسنة يأتى دور الاجتهاد الذى يلجأ اليه المسلمون حينما لا يجدون نصا صريحا فى المصدرين الأساسيين : القرآن والسنة لحل المشاكل التى تعترض طريقهم وتتجدد بتجدد الأزمان والبيئات . عن معاذ بن جبل رضى الله عنه

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له : بم تحكم؟ قال : بكتاب الله . قال : فان لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فان لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيي ولا آلو^(١) قال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله . وهذا ما أشار اليه على كرم الله وجهه حين قال : ما عندنا الا ما في الكتاب أو ما في هذه الصحيفة ، أو فهم أوتيه رجل مسلم^(٢) .

وقد وهبنا الله العقول التي يمكننا بها أن نفكر في طول هذه المشكلات بما يتلاءم مع القرآن والسنة ولا يتناقض معهما ، وربما ينشأ الاختلاف في هذه الاجتهادات ، ولكنه لا يضر في ذلك مادام الكل قد التزم بالأصول الواحدة المتمثلة في الكتاب والسنة ، و بالعقائد التي نص عليها وفصلها القرآن الكريم ، انها حينئذ لن تكون اختلافات جوهرية تؤثر على بناء المجتمع وسلامته ووحدته وأهدافه التي تتحقق بها سعادته وطمأنينته . بقدر ما هي اختلافات قد تتلائم مع الظروف المتغيرة للشعوب الاسلامية ، أو تتلائم مع بيئاتها المختلفة ..

(١) قال ابن العربي : فان قيل : هذا (الحديث) لا يصح . قلنا : قد بينا في شرح الحديث الصحيح ، وكتاب نواهي الدواهي صحته ، وأخذ الخلفاء كلهم بذلك . (ج ١ ص ٤٥٢ - ٤٥٣)
 احكام القرآن .

(٢) صحيح البخاري كتاب العلم باب كتابة العلم رقم ٣٩ .

وفيما يلي نعيش مع العقائد والعبادات التي يكلفنا الله تعالى بها كي نكون مؤمنين ونحاول ان نلمس ماتهدف اليه من اسباب نعم السعادة والسكينة والتقدم على الفرد وعلى المجتمع :

العقيدة الصحيحة كما جاءت بها الأديان والرسل :

وعقيدة التوحيد الخالص هي جوهر الاسلام ، خاتم الأديان " وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ^(١)) ، (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ^(٢)) ، وجوهر كل رسالة سماوية ^(٣) لخصها الله عز وجل فى سورة الاخلاص حيث قال سبحانه وتعالى : " قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ^(٤) " ..

(١) سورة سبأ (٢٧) . (٢) سورة الفرقان (١) .

(٣) كما نص على ذلك قوله تعالى : (ان الدين عند الله

الاسلام) .

(١٩ آل عمران) (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنسى

ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون)

(البقرة ١٣٢) . (فلما احس عيسى منهم الكفر قال : من انصارى

الى الله ؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله امنا بالله

وأشهد بأننا مسلمون) (آل عمران ٥٢) (ومن يبتغ غير الاسلام

دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين)

آل عمران (٨٥) .

(٤) سورة الاخلاص .

ومعنى هذه الآيات أن العقيدة الصحيحة تقوم على الأسس الآتية :-

(١) ان الله عز وجل واحد لا شريك له ، فالدين ضد تعدد الآلهة وصفة الوجدانية يقتضيها كمال الله عز وجل ، فلو لم يكن واحداً لكان غير قادر على الاله الآخر ، وفي حاجة اليه ، ذلك أنه اذا تعددت الآلهة تصارعت وفسد نظام الكون ، واذا اتفقت الآلهة - فمعنى هذا أن كل الله محتاج الى موافقة الآخر ، والاله لا يكون محتاجا الى أحد ، ذلك أن الاله الحق هو الاله القادر على كل شيء وغير المحتاج ، فهو واحد لا شريك له ، ولهذا استقام نظام السموات والأرض ، وما بينهما (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون^(١)) .

وقال تعالى : (ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون^(٢)) .

(٢) أن الله عز وجل هو الصمد ، أى الذى يرجع اليه فى كل شيء ، فهو الذى يسأل عن الرزق وعن الشفاء ، وعن التوفيق فى العمل ، والنجاح فى المسعى ، وهو الذى يطلب منه المغفرة والتوبة والهدى والتقوى والصلاح وهو الذى يستعاذ به من الشرور والآثام ، وهو الذى يستعان به ضد الشدائد والأهوال وهكذا ، ولا حاجة بالمؤمن الموحد الى السحر أو الشعوذة أو الكهانة أو

(١) سورة الأنبياء ٢٢ .

(٢) سورة المؤمنون ٩١ .

طلب المغفرة ودخول الجنة من كاهن أو رجل دين، «وليس للمؤمن ان يطلب شفاء أو نجاحا أو هداية من مخلص»^١ .
 مهما بلغت درجته ، فالله هو الصمد والمقصود فى جميع الحوائج .

وخلاصة القول ...

أن الاسلام الذى يمثل الدين الصحيح - كما جاء ت به الرسالات قبله - هو ضد الشرك الأكبر بقوله : ان الله واحد أحد ، وهو كذلك ضد الشرك الأصغر بقوله الله الصمد ولهذا يقول المسلم فى صلاته مخاطبا الله عز وجل (اياك نعبد واياك نستعين)^(١) .

(٣) أن الله عز وجل لم يلد ولم يولد : لأنه سبحانه اذا كان قد ولد فهو قد خلق والله عز وجل خالق لا مخلوق فولادته مظهر نقص وعيب والاله الحق كامل اسمى الكمالات منزّه عن النقص والعيب "وله المثل الاعلى فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم" ^(٢) . وكيف يولد ، فينزل من امرأة فى موضع تحيط به الدماء والأقذار ، ويأكل كما يأكل البشر المولودون ، فيحتاج الى التخلص من الفضلات ؟ .

وإذا كان الله عز وجل هو الوالد فانه يكون محتاجا الى الولد لأى غرض من الأغراض والحاجة الى الولد كذلك صفة نقص وعيب ينزه الاله الحق عنها ، فالاله ينبغى أن يكون غنيا عن كل ما سواه حتى يكون جديرا بالالوهية .
 (بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبه وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم . ذلكم الله ربكم

(١) فاتحة الكتاب : (٤) .

(٢) الروم (٢٧) .

(١) لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل).

(٤) ان الله عز وجل لم يكن له كفوا أحد ، أى لا نظير لله فى ذاته ولا فى صفاته ، فهو تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)^(٢) وهذه اسمى علامات التقديس لله وتنزيهه عن كل نقص ، فهو كامل متفرد بالكمال المطلق ، ليس كمثله شيء ، لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله .

وهكذا نجد الاسلام ضد كل العقائد التى تحاول تجسيم الله عز وجل أو وضع أى حدود له فى المكان أو الزمان .

((أثر العقيدة الاسلامية فى الفرد والمجتمع))

عرفنا أن أول ما يجب على المرء - كى يكون مؤمناً - أن يعتقد فى وجود الله وحده لاشريك له خالق هذا الكون ومالكة وملكه ، المتفرد بالعزة والسلطان ، المستحق للعبادة والتقديس والخضوع ، لانه لا خالق غيره ، ولا مدبر سواه (قل هو الله أحد)^(٣) الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد) (قل : أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم ؟ قل : انى أمرت أن أكون أو من أسألكم ولا تكونن من المشركين)^(٤) قل : ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى

(١) سورة الانعام (١٠١ ، ١٠٢) .

(٢) سورة الشورى (١١) .

(٣) سورة الاخلاص .

(٤) سورة الانعام (١٤) .

لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين
 قل : أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شيء ؟ (١) .

ماثمة هذا الاعتقاد في الفرد والمجتمع

ثمرة الايمان بوجود الله واخلص العبادة لله :

إن الايمان بوجود الله واخلص العبادة له والطاعة يمثل
 عملا ايجابيا بناء في حياة الافراد والمجتمعات ، وان الدين
 قد حرص على أن يتحقق هذا الايمان في نفوس المؤمنين من
 أجلهم ومن أجل حياتهم السعيدة ، لأن الخالق لا تنفعه طاعة
 الطائعين ، ولا تضره معصية العاصين ، ونستطيع ان نلمس
 أثر الايمان بالله وطاعته اذا عرفنا الحقائق التالية :-

أولا : ان احدا لا ينجو من صعوبات الحياة ومشاكلها التي
 تتناثر في طريقها ، ان الاعتقاد بوجود الله يمد الانسان
 - وهو الضعيف - بالقوة التي تعينه في التغلب على
 هذه الصعوبات وتلك المشاكل وبالقدرة على تخطي عقباتها
 لأنه لن يضعف ومعه الله القوى ، ولن ييأس ومعه الله
 الذي يمدد بالأمل ويوجب دعاءه ، ولن يجبن ومعه الله
 المعين . ولن يتكاسل عن عمل الخير ، لأن الله سيثيبه
 عليه ، ولن يجروء على عمل الشر ، لأن الله سيعاقبه
 ان عمله .

وقد أكدت بعض الدراسات التربوية والأبحاث النفسية أن الإيمان بالله تعالى وقاية وعلاج من الأمراض النفسية والاضطرابات العصبية والانحرافات الخلقية التي تنشأ من عوامل القلق والتوتر العصبي والخوف ، وأن من أهم أسباب الأمراض العضوية الحالة العامة التي يسيطر عليها الجهاز العصبي والحالة النفسية ، وقد أصبح العلاج النفسي عن طريق الإيمان من وسائل الطب .

يقول وليم جيمس : " ان أعظم علاج للقلق هو الايمان^(١) .

وقد أثبت بعض علماء النفس أن الذين يقدمون على الانتحار لا يؤمنون بالله أو نزع الايمان من قلوبهم بتأثير اليأس من رحمة الله التي لاتضيق بأحد من خلقه^(٢) .

ثانياً: ان الايمان بوجود الله يعنى ان نسلم له مقاليد أمورنا فنخضع لأوامره ونبتعد عن نواهيه ، ومعنى هذا أننا سنسير على منهج واحد فلا تتفرق بنا الطرق ، ولا يسيّر كل منا فى طريق ، بل نسير صفاً واحداً كالبنيان المرموص يشد بعضه بعضاً الى هدف واحد ، وهو الخلافة بكل ماتعنى من التعمير للكون .. أما التفرق، فلا يعنى الا تبديد القوى وتمزيق الشمل والسير فى طريق لا تؤدى الا الى أهداف صغيرة ، حتى وان كانت مفيدة (وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله^(٣)) .

(١) بين الدين والعلم : عبدالرزاق نوفل ص ٦٠ .

(٢) سيكلوجية القصة فى القرآن الكريم ص ٥٤٨ .

(٣) سورة الانعام (١٥٣) .

ثالثا : ان الايمان بالله يعنى أننا نعقد صلحا بيننا وبين الكون بأرضه وسماؤه ، لأننا نسير فيما هو سائر فيه وهو الطاعة والخضوع للخالق عندئذ سيمدنا الكون بكل ما أودعه الله فيه من الخير (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون)^(١) ...

وان أشد الناس حيرة واضطرابا فى هذه الحياة هم غير المؤمنين بالله عز وجل ، لأنهم فى خوف دائم من الظروف حولهم ، من الناس والأشياء وكل ما يحيط بهم وهذا ما يعبر عنه أحدهم بقوله واصفا ذلك الكون الغامض الذى يحيط به :-

" ونحن اذ نقف على أرضنا نحاول أن نكشف عن طبيعة الكون الذى يحيط بموطننا فى الفضاء والزمن ، وعن الغرض من وجوده ، نحس بشبه الذعر والهلع ، وكيف لا يكون الكون مخيفا مرعبا ، وهذه أبعاده هائله لاتستطيع عقولنا ادراك مداها ويتضاءل الى جانبها تاريخ الانسان .. وأخوف ما فيه أنه لايعنى - كما يبدو - بحياة مثل حياتنا . كأن عواطفنا ومطامعنا وأعمالنا وفنوننا وأدياننا كلها غريبة عن نظامه وخطته . وقد يكون من الحق أن نقول : بينه وبين حياتنا عداً قوياً ... هذا هو الكون الذى ألقينا بنا فيه الظروف ..

واذا لم يكن ظهورنا حدث بسبب غلطة وقعت فيه فلا أقل من أن يكون نتيجة لما يصح أن يوصف بحق أنه مصادف^(٢) له ..

(١) سورة الأعراف (٩٦) .

(٢) ظلال القرآن ج ٨ ص ١٤٨ .

وهذا تعبير صادق لمن لا يؤمن بالله لأنه لا يجد قوة
تحميه من هذا الكون المخيف .

أما المؤمن فإنه يحس بأن الله يحميه من هذا
الكون ، بل ويسخره له وأوجده فيه لغاية وهـدف
محدد ، ويسر له سبل الوصول الى ذلك (وسخر لكم
مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه ^(١)) (له معقبات
من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ^(٢)) .

فالمؤمن يدرك " ما بين الكون والانسان من صلات
ووشائج ، ويحس يد الله فى كل ماحوله ، فلا يشعر
بالخوف والضياع ، ولكن بالطمأنينة والانس الى هذا
الكون البديع وبالرهبة والجلال لخالقه المبدع " ^(٣) .

ويستتبع الايمان بوجود الله حتى يؤدى ثمرته أن :

(١) نؤمن بالرسل جميعا منذ آدم عليه السلام الى خاتمهم
محمد بن عبد الله الذين أرسلهم الله عز وجل الى الناس
بتعاليمه والدعوة الى عبادته وطاعته . (يا أيها النبى
انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله
بإذنه وسراجا منيرا ^(٤)) . وعدم الايمان بالرسل الذين
هم الصلة والرحمة بين الخالق وبين عباده يحول بيننا

(١) سورة الجاثية (١٣) .

(٢) سورة الرعد (١١) .

(٣) سيكلوجية القصة فى القرآن الكريم ص (٤٤٨) .

(٤) سورة الأحزاب (٤٥ - ٤٦) .

وبيين. تلقى تعاليم الله ، ومايستتبع ذلك من —
الأعراض عنها ، وعندئذ لن يفيدنا ايماننا شيئا ، ولن
نعرف طريق الله ، والايمان بحقيقة الرسالات والرسول
يفيدنا فى أمر هام وهو أن هؤلاء الرسل قد رباهم الله
وعنى بهم وأدبهم فأحسن تأديبهم وكملهم بكل الصفات
الحميدة ، وهم قد التزموا التزاما دقيقا بتنفيذ
تعاليم الله الى خلقه وتفسيرها تفسيراً صحيحاً فالإيمان
بهم والتعرف عليهم يستلزم الاقتداء بهم وتطبيق
مأملوه (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ^(١)) .
وهذا يجعل تطبيق التعاليم الدينية صحيحاً ، وعدم
الاعتراف بهم كرسول يوءى الى اختلاف التفسيرات للأصول
التي يريد الله من عباده أن يلتزموا بها ، كما أنه
يوءى بهم الى متاهات التفسيرات البشرية التي قد
تؤدى فى النهاية الى الابتعاد عن جوهر الدين وأساسه
ومبادئه .

(٢) وأن نؤمن بوجود الملائكة ، وأنهم كما وصفهم الله عز
وجل (عباد مكرمون ^(٢)) (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون
ما يوءرون ^(٣)) ومن هؤلاء الملائكة من يحصون أعمالنا
وما قدمت أيدينا لتوزن يوم الحساب ونلقى بها ثواباً أو
عقاباً (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ^(٤)) (كلا بل
تكذبون بالدين ، وإن عليكم لحافظين ، كراما كاتبين
يعلمون ما تفعلون ^(٥)) ومنهم من يرفع أعمالنا الى

- (١) سورة الأنعام (٩٠)
- (٢) سورة الأنبياء (٢٦)
- (٣) سورة التحريم (٦)
- (٤) سورة " ق " (١٨)
- (٥) سورة الانفطار (٩ - ١٢)

الله عز وجل صباح مساء ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : " الملائكة يتعاقبون : ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة الفجر والعصر ثم يعرج اليه الذين باتوا فيكم فيسألهم ، وهو أعلم ، فيقول : كيف تركتم عبادى؟ فيقولون : تركناهم يصلون وأتيناهم يصلون ^(١) " .
وعلى هذا ينبغى أن نحصر على ألا نفعل إلا ما هو خير وطيب يبيض صحائفنا ويرفع الى ربنا عز وجل " اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ^(٢) " .

(٣) وأن نؤمن بالكتب التى جاء بها هؤلاء الرسل من عند

الله ، لأن فى هذه الكتب القوانين التى تنظم حياتنا وسلوكنا أفرادا وجماعات ، وهى قوانين الهية صادرة من العليم الحكيم ، وعدم الايمان بالكتب يؤدى بالبشر الى أن يشرعوا لأنفسهم ، وتكون النتيجة كما قلنا أن تأتى تشريعات ناقصة مؤسسة على النظرة القاصرة والهوى الذى لا يستطيع أن يبرأ منه انسان .

والايمان بالكتب السماوية ، وتنفيذ ما فيها - فيه توحيد للمجتمع وسريان روح المحبة والوثام فيه ، كما تدعو هى الى ذلك ، وفى هذا من السعادة ما فيه ، لأن البغض والحقد لا يثمران الا القلق والصراع بين الأفراد ولن تكون هناك سعادة وطمأنينة فى مجتمع يتصارع ، أو لا يحس أفراداه بالسكينة والمحبة فيما بينهم ..

(١) صحيح البخارى بحاشية السندى ج٢ ص ٢١٣ : كتاب بدء الخلق

باب ذكر الملائكة - طبعة دار احياء الكتب العربيه بالقاهرة .

(٢) سورة فاطر (١٠)

(٤) والايمان باليوم الآخر الذى يحاسب الله فيه كل انسان على ما قدم فى دنياه (حياته الأولى) من خير أو شر وهذا يضى على الحياة معنى ، لأنه ما الفائدة فى حياة فيها الكثير من الصعاب والعقبات ويقضى الانسان الكثير من عمره فى تخطى هذه الصعاب وتلك العقبات ؟ ثم أن كثيرا ما يفعل الانسان الخير ويضحي بجهد وعمله وماله ، ولا يجد مكافأة دنيوية عليه . وكثير من البشر يظلمون ويفسدون ثم يرحلون بلا عقاب أو حساب ، ان الله سبحانه وتعالى ، وهو العادل ، أعد هذه الحياة الآخرة ليلقى فيها المحسن جزاء ما أحسن والمسيء أو الظالم عقاب ما أساء أو ظلم : (ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم^(١)) .

ومن هنا فعلى الانسان أن يقدم الخير دائما ، سواء أنال جزاءه فى حياته الدنيا أم لم ينل جزاءه : لأن الله الذى أمر بالخير لا يضيع عنده أجره فى الدنيا أو فى الآخرة وعلى الذين يريدون أن يظلموا الناس أو يستغلوهم أو يفتصبوا حقوقهم أن يتذكروا هذا اليوم الذى فيه (لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا^(٢)) عليهم أن يتذكروا ذلك فلا يقع منهم ظلم أو جور أو فساد ان كانوا يؤمنون بالله حقاً (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون^(٣)) (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) .

(١) سورة النور (٦٤) .

(٢) سورة لقمان (٣٣) .

(٣) سورة البقرة (٢٨١) .

(٤) سورة ابراهيم (٤٣) .

كما أن الايمان باليوم الآخر يحرر الانسان من عبودية الشهوات عندما يرى أن عمره قصير أمام تحصيل هذه الشهوات فيتكالب عليها : "واذا كان توحيد الله في ذاته واسمائه وصفاته يحرر القلب البشرى من قبضة الأرباب المرهوبة فينطلق بكل حيويته وفاعليته في واقع الأرض مستعليا على الطواغيت فان الايمان باليوم الآخر يحرر ذلك القلب من الأرباب المرغوبة من عبودية الهوى والشهوات فينطلق بكل حيويته وفاعليته ليقوم بـ دور الخلافة الراشدة في الأرض ، على المستوى الأعلى اللائق بالانسان لا على المستوى الحيوانى الذى كل همه الشهوات^(١)"

وليس معنى هذا أن يترك الظالمون في الدنيا دون عقاب أو لا تؤخذ الحقوق منهم فيها - كما يتهم بعض الملحدين الدين بذلك، لأن الله تعالى لم يسكت عنهم في الدنيا بل وضع لهم فيها العقوبات والحدود الصارمة . وفرض على مجتمع المؤمنين أن يأخذوا على أيديهم وأن يأخذوا الحقوق منهم بالقوة ان منعوها ، وذلك واضح في القرآن الكريم والسنة وفى كل جوانب التشريع الإسلامى ..

(٥) وان نؤمن بالقضاء والقدر ، وأن كل ما يحدث لنا انما

هو من تدبير الله سبحانه وتعالى وارادته ، وهـذا منطقي ، لأن الله اذا كان قد خلق الكون من العدم وخلق الانسان الذى يعيش فيه فانه قد دبر كل شئ فيه حتى

(١) من مقال النظرية التربوية الاسلامية : محمد قطب ، ضمن

بحوث ندوة خبراء أسس التربية - مكة المكرمة (جمادى

الثانى ١٤٠٠هـ .) ص ١٠ ، ١١ .

يسير فيما أراده له حين خلقه بما فى ذلك الانسان وفائدة هذا الايمان أن يكون سلاحا مع المؤمن يظهره امام المحن والمصائب التى تعترض حياته مما ليس له يد فيه . فاذا أصابه شئ فانه سيركن الى جانب الله ، فهو الذى يقدر ، وهو الذى يقضى ، وهو الذى يدبر ، وهو سيجزيه على صبره خيرا (الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا ، انا لله وابنا اليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون^(١)) ، قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون^(٢)) أما اذا لم يعتقد ذلك فانه سيتردى فى هوة اليأس والندم والثورة على نفسه وعلى الحياة . وبذلك يفقد توازنه ، وقد يغرس ذلك فى نفسه الكره عليها أو الهروب منها ، أو يصيبه الغرور عندما يعتقد أن مايتحقق له من نجاح أو غنى انما هو من عند نفسه فيطغى فى الأرض قال تعالى : (ماأصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على مافاتكم ولاتفرحوا بما آتاكم والله لايحب كل مختال فخور^(٣)) .

وليس معنى الايمان بالقضاء والقدر التواكل والكسل

والتبلىد بحجة أن الله قدر كل شئ وقضى بكل شئ ولا فائدة من سعى الانسان واجتهاده - كما يفهم الجاهلون ، لان هذا يتناقض مع الايمان بما قدره الله تعالى وقضاه ، اذ

(١) سورة البقرة (١٥٦ ، ١٥٧) .

(٢) سورة التوبة (٥١) .

(٣) سورة الحديد (٢٢ ، ٢٣) .

أمرنا سبحانه بالسعى والاجتهاد (١) وقل اعملوا فسيبى
 الله عملكم ورسوله والمؤمنون (١)، ووعدنا على هذا
 العمل تقدما وتمكيننا وأمنا (وعد الله الذين آمنوا
 منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف
 الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم
 وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى
 شيئاً (٢) وهذا كله من قضاء الله وقدره وتدبيره ..

(٦) والايمان بالله يستتبع أيضا أن نطيع الله فى كل شىء
 أمرنا به ، فى العبادات وفى التشريع ، وننتهى من
 كل شىء نهانا عنه ، ولهذا يحدد الرسول صلى الله عليه
 وسلم الايمان بأنه بضع وستون شعبة ، فأعلاها قول
 " لا اله الا الله ، وأدناها امانة الأذى عن الطريق (٣) "
 أى ان الله ..

فحتى ابعاد الأذى عن الطريق جزء من أجزاء الإيمان
 ولهذا وجدنا أن من الايمان العلاقة الطيبة ، علاقة
 المحبة بين المؤمن وأخيه (لا يؤمن أحدكم حتى يحب
 لأخيه ما يحب لنفسه (٤)) ، وأن يتحلى بخلق الحياء
 الذى يعصمه من السلوك المشين (الحياء من الإيمان (٥))

-
- (١) سورة التوبة (١٠٥) . (٢) سورة النور (٥٥) .
 (٣) صحيح البخارى - كتاب الايمان - باب أمور الايمان .
 (٤) صحيح البخارى - كتاب الايمان - باب من الايمان أن يحب
 لأخيه ما يحب لنفسه .
 (٥) صحيح البخارى - كتاب الايمان - باب الحياء من الايمان .

وان يكون الانسان ميالا دائما الى حب الخير والى كل
تعاليم الدين (لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما
جئت به (١)) .

ويقول العلماء ان هذه الشعب يجمعها كلها : (العبادة
الكاملة لله ، واعطاؤه تعالى حقه من اتباع أمـره
واجتناب نهيه ، وتقواه ، وتوخي رضاه عز وجل " ..

ومعنى هذا ان الايمان هو ذلك النظام الذى يأخذ به

المؤمنون بالله ، لأن ربهم عز وجل هو الذى أمرهم بذلك
من أجل تقدمهم وسعادتهم وان الله غنى عن العالمين.

وقد شرع الله عز وجل العبادات كي يجدد المؤمن صلتـه
به تعالى ، فيضفى ذلك عليه استقامة فى حياته وترباطـه
فى مجتمعه الذى يعيش فيه :

والعبادات هى : الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج

(١) تفسير ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : (وما كان
لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون
لهم الخيرة من أمرهم) (الاحزاب : ٣٦) .
ورواه ابن رجب الحنبلى فى كتابه جامع العلوم والحكم
ص ٣٦٤ وقال : حديث حسن صحيح . وبين من خرجه من العلماء
(جامع العلوم والحكم : ط ٤ : ١٣٩٣ هـ : ١٩٧٣ م . مكتبة
مصطفى البابى الحلبي - القاهرة ٠٠)

(١) الصلاة :-

ان الله تعالى خلق الانسان ويعلم ادواءه وعلاجه من هذه الادواء ، يعلم أن ابن آدم خطاء ، وأنه يمشى فى طريق محفوف بالشهوات ، ولا بد من أن تزل قدمه ، فيرتدى فى أحضان هذه الشهوات التى تتلف صحته أو ماله ، فشرع له أن يمتثل بين يديه خمس مرات فى الصلاة يثنى عليه عز وجل بأنه رحمن رحيم وأنه مالك يوم الجزاء والحساب ويطلب منه الصفح والغفران ويقر له بالعبودية والخضوع له سبحانه وتعالى ويسأله أن يهديه الى الطريق الذى يقر به اليه ويرضيه ويهدى اليه كل من أحبه ، وألا يتركه ضالا ، أو يفض عليه فتكون عاقبته الخسران .

(الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، اياك نعبد واياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) .

يقول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فى الحديث القدسى : (قال الله تبارك وتعالى : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، فنصفها لى ونصفها لعبدى ، ولعبدى ما سأل " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرءوا ، يقول العبد " الحمد لله رب العالمين " ، يقول الله تبارك وتعالى : حمدنى عبدى ويقول العبد : " الرحمن الرحيم " . يقول الله : أثنى على عبدى ، ويقول العبد : " مالك يوم الدين " ، يقول الله : مجدنى عبدى ، يقول العبد : " اياك نعبد واياك نستعين " . يقول الله : فهذه الآية بينى وبين عبدى ، ولعبدى ما سأل ، يقول العبد : " اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين " فهو لاء لعبدى ولعبدى ما سأل^(١)

ويتدرج الى نوع أرقى من الخضوع له تعالى حين يركع ويلهج لسانه بتنزيه الله العظيم ويصل الى قمة هذا الخضوع والتذلل وهو ساجد له تعالى يقر له برفعة المكانة ، وينزهه سبحانه وتعالى عن كل نقص .

ان الله سبحانه وتعالى كريم لا يرد قاصدا بابه يلتمس جوده وفضله ، كيف لا ، وهو يمنح غير المؤمن الذى لا يسأله معروفًا ولا يقر له بفضل .

انه سينظر الى عبده الخاضع الذليل بعين الرحمة والمغفرة فيمسح عنه أخطائه وذنوبه ، ويفيض عليه من نعمه ما يجعله نقى السريرة ، طاهر النفس قوى الروح ، متعاليا على دنيا الآثام ، محبا لكل خير .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، معبرا عن هذا (أ رأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسًا ماتقول : ذلك يبقي من درنه ؟ ، قالوا : لا يبقى من درنه شيئا ، قال : فذلك مثل الصلوات يمحو الله بهن الخطايا^(١)) .

والصلاة اذا أداها المؤمن فى خشوع واطمئنان تسورث خشية الله تعالى والخوف منه وتقواه والاخلاص له ، وهذا يؤثر فى سلوك الفرد خارج الصلاة ، فلا يغضب الله تبارك وتعالى ، ولا يرتكب المنكرات ، قال تعالى : (وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر^(٢)) .

-
- (١) صحيح البخارى - كتاب مواقيت الصلاة - باب الصلوات الخمس كفارة - وروى هذا الحديث أيضا الترمذى فى كتاب الأدب والنسائى فى كتاب الصلاة وأحمد ج ٢ ص ٣٧٩ .
- (٢) سورة العنكبوت : ٤٥ .

وفى الصلاة يقف المؤمنون صفوفًا منتظمة على اختلاف طبقاتهم فقيرهم وغنيهم على السواء ، فيتعارفون ويتآلفون ويتحابون ويزيلون ما بينهم من حواجز دنيوية ويتعودون على العمل الجماعي المنظم الهادف ، وهذا هو الذى يزيل الفوارق بين الطبقات ، لا الصراع وما يريقه من دماء وحقد وكراهية كما تدعو بعض المذاهب الهدامة ..

والصلاة مع هذا وذاك تجعل المؤمن نظيفًا طوال اليوم : لأنه يغسل أطرافه كشرط أساسى لصحة صلاته ، يتوضأ فيتمضمض ويستنشق ويغسل يديه ووجهه وذراعيه ورجليه ويمسح رأسه وأذنيه .

ولاشك أن هذه الأعضاء معرضة للجراثيم والقاذورات ويأتى الوضوء فينظفها ويزيل ما قد يعلق به منها .

والصلاة كما تربي المرء على اعلان عبوديته لربه وحاجته اليه تربيته على أن يكون مستقيماً فى حياته ، فلا انفصام بين اقامة الصلاة والسير على ما يرضيه تعالى ، واذا وجد المرء ليس مستقيماً فى حياته مع أنه يصلى عرفت أنه لم يستفد من صلاته ، ولم يثب عليها ، لانه (انما يتقبل الله من المتقين^(١)) ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا خير فى صلاته .

وقد توعده الله المصلين الذين لا يخشعون فى صلاتهم ولا يخافون الله ويرأون الناس بالويل ، وذكر من صفاتهم أن نفوسهم منطوية على الشح والبخل ويمنعون الخير عن الناس

(فويل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ويمنعون الماء^(١)) .

(٢) الصوم :

الصوم هو الامساك عن الطعام والشراب والشهوات طوال النهار من طلوع الفجر الى غروب الشمس .

وهو كذلك الامساك عن كل ما يغضب الله تعالى من قول أو فعل (الصيام جنة ، فلا يرفث ولا يجهل ، وان امروء قاتله أو شاتمه فليقل : انى صائم مرتين^(٢)) .

وهذا المعنى للصوم بشقيه يفيد المؤمن فى الدنيا والآخرة ، فعبادة الصوم تسهم فى استقامة حياة المؤمنين حسيا ومعنويا ، ماديا وروحيا .
والصائم يراقب ربه وحده دون سواه فى الحفاظ على مقتضيات صيامه ، والصوم يعصم الشباب من طغيان الشهوات الجنسية عليه والتي قد تجعله يرتكب حماقات تغضب الله تعالى ، وتدنس الأعراض ، وتضيع الأموال وتفكك الأسر والمجتمعات ، يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مخاطبا الشباب " من استطاع الباءة (القدرة على الزواج والانفاق على بيت الزوجية) فليتزوج ، فانه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء^(٣) " أى وقاية .

(١) سورة الماعون (٤ - ٧) .

(٢) صحيح البخارى كتاب الصوم - باب فضل الصوم ص ٨٨ على فتح البارى - وقد رواه مسلم فى كتاب الصوم وأبو داود فى كتاب الصوم والنسائى وابن ماجه والموطأ وأحمد فى المسند ج ٢ ص ٢٤٥ ، ٢٥٧ ، ٢٧٣ ، ٢٨٦ .

(٣) صحيح البخارى كتاب الصوم ، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة ص ١٠١ على فتح البارى .

والصوم يخلص الجسم من كثير من الفضلات التى تضر به
وتجعله غير قادر على مقاومة الأمراض والجراثيم ، يقول صلى
الله عليه وسلم : " صوموا تصحوا ^(١) " وإذا صح جسم الفرد
أصبح عاملاً منتجا فى مجتمعه فيفيد نفسه ويفيد الآخرين .

والصوم يذل النفس ويدربها على الكف عما تشتهيه وترغبه
فلا تتحكم فيها الشهوات ، فتجاوز بها الحدود ، كما يربيها
على مراقبة الله وتقواه على كل حال ، وهذا هو عين الاستقامة
لأن المؤمن حينئذ سيسير فى طريق الله لا يتعدها ، وطريق الله
كله خير .

والصائم لا يؤذى الآخرين من أفراد مجتمعه ، لأنه لا يتكلم
بالكلام الفاحش ، ولا يهذى ، ولا يخاصم ولا يجادل بالباطل
ويحاول أن يعفو عن إساءة الآخرين له ، فيصير شخصا متسامحا
خييرا ، وبذلك يعيش أفراد المجتمع فى حب ومودة وقد تقدم
(وان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنى صائم مرتين) .

والصوم يعود المؤمنين على أن تكون عاداتهم وتقاليدهم
واحدة كما يكون فى رمضان ، الشهر الذى يصومون جميعا
فيه ، فلا يكون هناك اختلاف بين القلوب وما يؤدى إليه من
التنافر والتباعد وعدم التعاون .

هذه هى ثمار الصوم ، وإذا لم يؤت الصوم هذه الثمار
فلا خير فيه من وجهة النظر الدينية ، ولا يتقبله الله من
المؤمنين ، ويصير كل عمله أنه جاع وعطش بلا فائدة ، يقول
الرسول - صلى الله عليه وسلم - : (من لم يدع قول الزور
والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه ^(٢)) .

(١) رواه ابن السنن وأبو نعيم فى الطب عن أبى هريرة بطريق
حسن . (الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٦) . (٢) سنن ابن ماجه : كتاب
الصوم . باب ما جاء فى الغيبة والرفث للصائم ص ٤٣٩ .

ويقول - صلى الله عليه وسلم - : " ليس الصيام من الأكل والشرب ، وإنما الصيام عن اللغو (الكلام بالباطل) والرفث ^(١) (الفسوق وعصيان الله تعالى) .

وعنه صلى الله عليه وسلم : " رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر ^(٢) " . وبهذا يتضح ان هذه العبادة تؤدي دورا هاما فى استقامة الفرد والمجتمع شأنها فى ذلك شأن الصلاة وبقية العبادات .

(٢) الزكاة :

وهذه عبادة يظهر فيها الاسهام الكبير فى تحقيق التوازن المالى فى المجتمع ، كما أنها تحقق التضامن والتكافل

الاجتماعى .

على المؤمن اذا كان غنيا أن يقتطع جزءا من ماله ويعطيه للدولة التى تقوم بدورها فى انفاقه فى الوجوه التى رسمها الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم ، فى قوله تعالى : (إنما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب ، والغارمين وفى سبيل الله ، وابن السبيل ^(٣)) .

- (١) رواه الحاكم والبيهقى (الجامع الصغير ج٢ ص ١٣٥) عن أبى هريرة ورمز له بالصححة (وأقره الألبانى ج٥ ص ٨٧ - ٨٨ فى صحيح الجامع الصغير . (٢) سنن ابن ماجه : كتاب الصوم . باب ما جاء فى الغيبة والرفث للصائم ص ٤٣٩ .
- (٣) التوبة ٦٠ .

وبهذا لا يتكدس المال فى أيدي الأغنياء ، فيطغيهم —
ويفتح بابا لهم كي يستعلوا ويعميهم جمع المال عن تقديم
الخير للناس ، ويسعون لجمعه وتكثيره من طرق بعضها يكـ
مشروعا وبعضها يكون غير مشروع ، ولهذا يقول الرسول - صلى
الله عليه وسلم - : (اذا أدبت زكاة مالك فقد أذهبت عنك
شره (١)) . (فانها طهرة تطهرك (٢)) أى أن الله تعالى يرضى
عنك حين تؤدى زكاة مالك ، وتحقق بهذا المعنى عبوديتك لله
فيهديك الى خير الحياة وخير العمل ، ويبارك لك فى مالك
ويطهر نفسك ، فلاتجعل المال أكبر همك ، فيعكر عليك صفو
نفسك حين تجرى وراءه ..

أما الفقير فلاشئ يمزق نفسه ألما وحقدا أكثر ممن
أن الغنى ينعم بلذات الحياة ويجمع فى يده المال ، وهو
فى حاجة الى ما يقيم حياته ، ويسخره لقاء أجر قليل ، لأن المال
فى يده والعمل عنده .

لكنه اذا وجد الغنى يدفع اليه الكثير من ماله نشأت
بينهما علاقة الحب والمودة والسعى الحقيقى من كل منهما
لأداء ما عليه نحو الآخر بلا حقد ولا كراهية ولا صراع يمزق المجتمع
ويقضى على مظاهر التعاون فيه .

من أجل هذا كله كان الله عز وجل رحيفا بعباده بصيرا
بما يسعدهم عندما شرع لهم هذه الفريضة ، وحشهم على أدائها
ووعدهم على ذلك جزيل الثواب وهدد الذين يبخلون بأموالهم
فلا يخرجون زكاتها .

(١) رواه ابن خزيمة عن جابر (الجامع الصغير ص ١٧ ورمز له
بالصحة) .

(٢) مسند أحمد ج ٣ ص ١٣٦ .

ولقد حدد الله تعالى أنه ينبغي على الغنى دافـع الزكاة ألا يؤذى من يدفع اليه الزكاة لأن المال مال الله جعل فيه للفقراء والمساكين حقا عند الأغنياء (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ^(١)) (والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ^(٢)) وايداء المزكى ، لمن يدفع الزكاة اليه يبطل الزكاة ويجعلها بلا فائدة ولايتقبلها الله (ياأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى ^(٣)) .

وبهذا يتحقق فى دفع الزكاة التربوية القويمة للغنـى والكرامة

الانسانية للفقير الذى يأخذ الزكاة . فلا من ولاطفيان ، وانما الحرص على طاعة الله عز وجل ، والقضاء على مظاهر البـوس والبطالة فى المجتمع وبهذا أيضا تتلافى العيوب فى النظامين الاقتصاديين اللذين يسودان جزءا كبيرا من عالم اليوم ، نظامى الرأسمالية والشيوعية ، اذ الأولى يشيع فيها الاستغلال والظلم والتكالب على المادة والأنانية المفرطة وفـسـاد الثانية تنتفى الكرامة الاجتماعية ، ويقتل الشعور بالخير والنفع الاجتماعى الصادر عن انفعال مباشر .

(٤) الحج :-

فرض الله على المستطيعين من المؤمنين ان يتركوا أوطانهم فى العشر الأوائل من ذى الحجة ، ويذهبوا إلى مكة حيث بيت الله الحرام يطوفون به وحيث جبل عرفات يقفون عليه ويدعون الله ويعلنون له الطاعة والولاء " لبيك اللهم لبيك ... لبيك لاشريك لك لبيك ... ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك) ويمتنعون عن العصيان وعن اللغو وعن

(١) الحديد ٧ .

(٢) المعارج ٢٤ ، ٢٥ . (٣) البقرة ٢٦٤ .

الجدال (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى (١)) .

وتكفل الله تعالى لمن يفعل ذلك مخلصا أن يطهره من ذنوبه وآثامه (من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه (٢)) .
والحج بهذا يفيد المؤمنين الكثير أفرادا وجماعات (واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم (٣)) . لأنهم يجتمعون من بلاد مختلفة متباعدة على حب الله وتدارس أحوالهم وتقديم كل منهم يد المساعدة لأخوانه المؤمنين ، سواء أكان ذلك بالمال ، أم بالعلم أم بغير ذلك مما يحتاجون اليه .

والحاج اذا أطاع الله فى أعمال الحج التى قد لا يفهم لها معنى ، فإنه سيرجع مطيعا لله فى كل أمور الحياة وطاعة الله لا تثمر الا الخير دائما للناس .

واذا لم يفعل ذلك فان الله لا يتقبل حجه ويرده عليه عندما يلبى .

وبهذا يظهر لنا واضحا جليا أن العبادات انما فرضها الله على المؤمنين كي تعينهم على السير فى الطريق المستقيم

(١) البقرة (١٩٧) .

(٢) صحيح البخارى : كتاب الحج : باب فضل الحج المبرور ص ٢٦٥

مع شرح السندى ورواه أيضا مسلم .

(٣) الحج (٢٧) .

وتسد خطاهم وتفيدهم كأفراد وجماعات ، ويمكننا أن نلخص ماسبق فى صورة حقائق ينبغى أن يضعوها أمام أعينهم ، فيتدبروا حالهم ويتعرفوا طريقهم الصحيح ازاء فروض العبادات التى فرضها الله عليهم .

أولا : ان العبادات كلها انما هى من اركان الاسلام بنى عليها ولايتحقق الا بها ، قال صلى الله عليه وسلم : (بنى الاسلام على خمس : شهادة ألا اله الا الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه ^(١) سبيلا) فبغير العبادات يصير الاسلام عند المسلم مبتورا بلا روح ، ميتا لا حياة فيه ، ولايكفى أن يكون المسلم من أبوين مسلمين ، ثم لا يصلح ولا يصوم ولا يزكى ولا يحج ، لأن الذنوب ستتراكم على قلبه : فتعمى بصيرته ، فيتخبط فى دياجير الضلال والحيرة ، وعندئذ لاينفعه انه مؤمن اسما فقط ، أو فى عداد المؤمنين لأنه لم يكتسب فى ايمانه خيرا : (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك ، أو يأتى بعض آيات ربك ، يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانهم ، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانهم خيرا ^(٢)) .

وكان المؤمنين اليوم لايعرفون هذه الحقيقة ، فنسرى الكثيرين منهم لا يصلون ولا يصومون والأغنياء منهم لا يزكـون ويحج الكثير منهم بقصد السياحة أو التجارة أو المباهلة والمراء واكتساب اللقب .

(١) صحيح البخارى : كتاب الايمان : باب دعاؤكم ايمانكم

كما رواه فى كتاب التفسير ورواه مسلم وأحمد فى المسند .

(٢) الأنعام (١٥٨) .

ثانياً : انه لاخير فى عبادات لاتثمر فى القلب خشوعاً أو فى السلوك استقامة وصلاً : لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر كما ينص على ذلك القرآن الكريم^(١) ويقول صلى الله عليه وسلم " رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش " وقال تعالى " يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى ، كالأذى ينفق ماله رثاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً ، لا يقيـدرون على شيء مما كسبوا ، والله لا يهدى الكافرين^(٢) " وثواب الحج لا يمنح - كما تنص السنة - للرافثين والفاستقين .

وكان المؤمنين اليوم لا يعرفون هذه الحقيقة أيضاً ، فنرى الكثيرين منهم يؤدون العبادات ، ولكنهم غير مستقيمين فى حياتهم فيصلون ولا تنهاتهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر ، ويصومون فلا يتورعون عن الفسوق والعصيان ، ومن يزكى - وقليل ما هم - يصحب زكاته المن والأذى والاستغلال ، وكأنه هو الذى أحيا الفقراء ورزقهم ويحجون فيعودون قساة القلوب غلاظها ، وربما اتخنوا من عباداتهم هذه ستارا يخفون به منكراتهم ، أو سلاحا يشبهونه ضد من يعلن أنهم على غير حق ، أولا يجدر بهم ان يكونوا كذلك ..

ثالثاً : ان الاسلام من خلال العبادات يربى المؤمن على أمرين :

أ - تقوية صلته بخالقه وربّه . ب - الاستقامة فى الحياة وتعميرها

فالاسلام يطلب من اتباعه ان يعطوا للحياة حقها ، كما يعطون لربهم حقه ، على أن الاستقامة فى الحياة - انما هى فى النهاية

(١) قال تعالى : (وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) . العنكبوت (٤٥) .

(٢) البقرة (٢٦٤) .

اسهام فى تقوية صلة المؤمن بربه ، لأنه تعالى هو الذى أمر بالاستقامة ، ووعد العاملين فى الأرض أجرا عظيما ، لأن هذا تحقيق للخلافة فى الأرض (وعد الله الذين آمنوا منكم ، وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا ، يعبدوننى لايشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون^(١)) وتقوية الصلة بالخالق انما تؤدى الى خير المؤمنين لأنه تعالى اذا رضى عنهم أمدهم بالخير والاستقامة فى الحياة .

ويكذب من يدعى انه أدى حق الله ، ولو صام وصلى وزكى وحج وهو خامل فى الحياة لايؤدى عمله كما ينبغى الأداء ، أو يفسد فيها أى نوع من الافساد ، ألم يجعلنا الله خلفاء فيها نعلمها ونصلح أمرها ؟ (واذا قال ربك للملائكة : انى جاعل فى الأرض خليفة) ، (ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون^(٢)) .

ويأتى دور العبادات ، فتكون سجايا يحمى المؤمن من أن يبدد طاقته فيما لايفيد أو فيما يضر :

الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وناهيك بهما مهلكين للجسم الذى يعمل وللعقل الذى يفكر ، وللوقت الذى يصب العمل فى وعائه .

والصوم يدرّب المؤمن على الصبر وتحمل الشدائد ، ويقوى عزمته فلا يهن ولايستكين أمام الأعمال التى تتطلب جهدا ومشقة .

(١) النور / ٥٥ .

(٢) الاعراف / ١٢٩ .

والزكاة تتيح لكثير من الطاقات المعطلة أن تعمل ، وتربى المؤمن على ألا يكون جشعا أو مستغلا فيجمع المال من طرق غير مشروعة لاتعتمد على كده وعمله ، وعلى ألا يكون حاقدا اذا كان فقيرا ، لأن مال الأغنياء يصل اليه ، حقا معلوما له .

والحج يثبت في المؤمن روح الطهر والنقاء فلا يرتكب في عمله وسلوكه ما يندس هذا الطهر أو يوسخ ذلك النقاء .

يجب على المؤمنين ان يعرفوا هذه الحقائق ، وأن يعرفوا معرفة حقة حقوق العبادات عليهم ، فيفيدهم ايمانهم ودينهم تقدما ورقيا وسدادا في الحياة ، ويقظة من نومهم الذى طال ، فالحق جعل الحياة للعاملين المخلصين المجدين .

وعندئذ لايسيئون الى دينهم الذى ينتسبون اليه ، لأن أعداءه يربطون بين تأخرهم ودينهم ، فيزعمون - كذبا - أن دينهم هو الذى أخرهم محاولين بهذا أن يوسعوا الفجوة بينهم وبين دينهم حتى يزدادوا تأخرا ، ومن السهولة ، عليهم حينئذ أن يجهزوا عليهم ويأخذوهم لقمة سائغة (وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) .

نسأل الله جلت قدرته أن يوفق المؤمنين الى حق طاعته وحسن عبادته والى أداء العبادات التى فرضها عليهم خيرا لاداءه وأحسنه انه نعم المجيب .